

آخر الليل

١٩٦٧

تحت الشبّابيك العتيقة

١ - الجرح القديم

واقفٌ تحتَ الشّبّابيكِ،

على الشّارع واقفٌ

درجاتُ السّلم المهجور لا تعرفُ خطوي

لا ولا الشّبّاك عارفٌ.

من يد النّحلة أصطادُ سحابة

عندما تسقطُ في حلقي ذبابة

وعلى أنقاض إنسانيّتي

تعبرُ الشمسُ وأقدامُ العواصفُ

واقفٌ تحتَ الشّبّابيكِ العتيقة

من يدي يهربُ دُوريُّ وأزهارُ حديقة

أسأليني: كم من العمر مضى

حتى تلاقي كلُّ هذا اللون والموت،

تلاقي بدقيقة؟

وأنا أجتازُ سرداباً من النسيان،

والفلل، والصوت النحاسي

من يدي يهربُ دُوريُّ..

وفي عيني ينوب الصمتُ عن قول الحقيقة!

عندما تنفجرُ الريح بجلدي

وتكفُ الشمسُ عن طهو النّعاسُ

وأسمي كل شيء باسمه،

عندها أبتاغ مفتاحاً شباكاً جديداً

بأناشيد الحماس!

- أيها القلبُ الذي يُحرم من شمس النهارِ

ومن الأزهار والعيد، كفانا!

علمونا أن نصور الحب بالكره!

وأن نكسو ندى الورد.. غباراً!

- أيها الصوتُ الذي رفرف في لحمي

عصافير لهب،

علمونا أن نُغني، ونحب

كل ما يطلعه الحقل من العشب،

من النمل، وما يتركه الصيف من أطلال دار

علمونا أن نُغني، ونداري

حُبنا الوحشي، كي لا

يصبح الترنيمة بالحب مملاً!

عندما تتفجر الرياحُ بجلدي

سأسمي

كل شيء باسمه

وأدق الحزن الليل بقيدي

يا شبابيكي القديمة..!

٢- أغنية حبّ على الصليب

مدينة كل الجروح الصغيرة

ألا تُخمدِين يديّ؟

ألا تبعثِين غزالا إليّ؟

وعن جبهتي تنفضين الدخان.. وعن رئتِي؟!

حنيني إليك.. اغتراب

ولقيالك.. منفى!

أدقُّ على كل باب..

أنادي، وأسأل، كيف

تصيرُ النّجومُ تراب؟

أحبُّك، كوني صليبي

وكوني، كما شئتِ، بُرْجَ حمامٍ

إذا ذوّبتني يداك

ملأتُ الصحارى غمام

لحبِّك يا كلَّ حُبِّي، مذاقُ الزبيبِ

وطعمُ الدّم

على جبهتي قمر لا يغيب

ونارٌ وقيثارة في فمي!

إذا متُّ حُبًّا فلا تدفنيني

وخلي ضريحي رموش الرّياح

لأزرع صوتك في كلّ طين

وأشهر سيفك في كل ساح

أحبك، كوني صليبي

وما شئت كوني

وكالشمس ذوبي

بقلبي.. ولا ترحمني..

Akhawia.net

٣- خارج من الأسطورة

إنني أنهضُ من قاع الأساطير

وأصطادُ على كلِّ السطوح النائمة

خطوات الأهل والأحباب.. أصطاد نجومى القاتمة

إنني أمشي على مهلي، وقلبي مثل نصف البرتقالة

وأنا أعجب للقلب الذي يحمل حاره

وجبالاً، كيف لا يسأُ حاله!

وأنا أمشي على مهلي.. وعيني تقرأ الأسماء

والغيمُ على كل الحجارة

وعلى جيدك يا ذات العيون السود

يا سيفي المذهبُ

ها أنا أنهضُ من قاع الأساطير.. وألعبُ

مثل دُوري على الأرض... وأشرب

من سحاب عالق في ذيل زيتون ونخل

ها أنا أنتمُّ أحبابي وأهلي

فيك، يا ذات العيون السود.. يا ثوبي المقصَّب

لم تزل كفاك ثلثين من الخُصرة، والقمح المذهبُ

وعلى عينيك ما زال بساطُ الصحو

بالوشم الحريري.. مكوكب!

إنني أقرأ في عينيك ميلاد النهار

إنني أقرأ أسرار العواصف

لم تشيخي.. لم تخوني.. لم تموتي
إنّما غيّرت ألوان المعاطف
عندما انهارَ الأحباء الكبار
وامتشقنا، لملاقاة البنادق
بأقّة من أغنيات وزنايق!
آه.. يا ذاتِ العيونِ السود، والوجه المعقّر
يشربُ الشارغُ والملحُ دمي
كلما مرّت على بالي أقمارُ الطفولة
خلف أسوارك يا سجن المواصل الطويلة
خلف أسوارك، ربّيتُ عصافيري
ونحلي، ونبيذي، وخميّلة

٤ - اعتذار

حلمتُ بعرس الطفولة

بعينين واسعتين حلمتُ

حلمتُ بذاتِ الجديلة

حلمتُ بزيتونة لا تباع

ببعض قروش قليلة

حلمتُ بأسوار تاريخك المستحيلة

حلمتُ برائحة اللوز

تشعلُ حزن الليالي الطويلة

بأهلي حلمتُ..

بساعد أختي

سيلتفُ حولي وشاح بطولة

حلمتُ بليلة صيف

بسلة تين

حلمتُ كثيراً

كثيراً حلمتُ..

إذنُ سامحيني!!

٥- المستحيل

أَمُوتُ اِشْتِيَاقًا

أَمُوتُ احْتِرَاقًا

وَشَنَقًا أَمُوتُ

وَذَبْحًا أَمُوتُ

وَلَكِنِّي لَا أَقُولُ:

مَضَى حُبُّنَا، وَانْقَضَى

حُبُّنَا لَا يَمُوتُ

٦- الورد والقاموس

وليكن.

لا بدّ لي..

لا بدّ للشاعر من نخبٍ جديدٍ

وأناشيدٍ جديده

إنني أحملُ مفتاح الأساطير وأثار العبيدُ

وأنا أجتازُ سرداباً من النسيان

والفلل، والصيف القديم

وأرى التاريخ في هيئة شيخ،

يلعبُ النردَ ويمتصُّ النجوم

وليكنْ

لا بدّ لي أن أرفضَ الموت،

وإن كانت الأساطيرُ تموت

إنني أبحثُ في الانقراض عن ضوء، وعن شعيرٍ جديدٍ

آه.. هل أدركتُ قبل اليوم

أنّ الحرف في القاموس، يا حُبّي، بليد

كيف تحيا كلُّ هذي الكلمات!

كيف تنمو؟.. كيف تكبر؟

نحن مازلنا نغذيها دموع الذكريات

واستعارات.. وسُكّر!

وليكن..

لا بدّ لي أن أرفض الورد الذي
يأتي من القاموس، أو ديوان شعر
يَنبَتُ الوردُ على ساعد فلاح، وفي قبضة عامل
يَنبَتُ الوردُ على جرح مقاتل
وعلى جبهة صخر..

Akhalvia.net

٧- وعود من العاصفة

وليكن...

لا بدّ لي أن أرفض الموت

وأن أحرق دمع الأغنيات الراحلة

وأعري شجر الزيتون من كل الغصون الزائفة

فإذا كنت أعني للفرح

خلف أجفان العيون الخائفة

فلأنّ العاصفة

وعدتني بنبيذ.. وبأخاب جديدة

وبأقواس قزح

ولأنّ العاصفة

كنست صوت العصافير البليده

والغصون المستعارة

عن جذوع الشجرات الواقفة

وليكن..

لا بدّ لي أن أنباهي، بك، يا جرح المدينة

أنت يا لوحة برق في ليالينا الحزينة

يعبس الشارع في وجهي

فتحميني من الظل ونظرات الضغينة

سأعني للفرح

خلف أجفان العيون الخائفة

منذ هبّت، في بلادي، العاصفة

وعدتني بنبيذ، وبأقواس قزح

Akhawia.net

موال :

خسرت حلما جميلا،
خسرت لسع الزنابق
و كان ليلي طويلا،
على سياج الحدائق
وما خسرت السبيل
لقد تعود كفى،
على جراح الأمانى
هزي يدي بعنف.. ينساب نهر الأغاني
يا أم مهري و سيفي !
_يمّا.. مويل الهوى
_يمّا.. مويليا
"ضرب الخناجر.. و لا
"حكم النذل فيّا

*

يداك فوق جبيني،تاجان من كبرياء
إذا انحنيت،انحنى ، تل وضاعت سماء
ولا أعود جديرا بقبلة أو دعاء
و الباب يوحد دوني
كوني على شفتيا اسما لكل الفصول

لم يأخذوا من يديّ ، إلا مناخ الحقول

و أنت عندي دنيا !

"يمّا.. مويل الهوى

"يمّا.. مويليا

"ضرب الخناجر.. و لا

"حكم النذل فيّا

*

الريح تنعس عندي .. على جبين ابتسامة

و القيد خاتم مجد ، و شامة للكرامة

و ساعدي.. للتحدي

على يدك تصلي طفولة المستقبل

وخلف خفنيك، طفلي يقول: يومي أجمل

و أنت شمسي و ظلي

*

"يمّا.. مويل الهوى

"يمّا.. مويليا

"ضرب الخناجر.. و لا

"حكم النذل فيّا

الأرض ، أم أنت عندي أم أنتما توأمان

مد مدّ للشمس زندي؟ الأرض، أم مقلتان

سيان سيان.. عندي

*

إذا خسرت الصديقة فقدت طعم السنابل
و إن فقدت الحديقة ضيّعت عطر الجداول
و ضاع حلم الحقيقة

*

عن الورد أدافع شوقاً إلى شفتيك
وعن تراب الشوارع خوفاً على قدميك
و عن دفاعي أدافع

*

"يماً..مويل الهوى

"يماً.. مويليا

"ضرب الخناجر.. و لا

"حكم النذل فيّا

لا تنامي حبيبتي

عندما يسقط القمر

كالمرآيا المحطمة

يكبر الظلُّ بيننا

والأساطير تحتضر

لا تنامي.. حبيبتي

جرحنا صار أوسمه

صار ورداً على قمر!...

خلف شباكنا نهارُ

وذراع من الرضا

عندما لفني وطار

خلتُ أني فراشةُ

في قناديل جُئنا

وشفاء من الندى

حاورتني بلا حوار!

لا تنامي.. حبيبتي

خلف شباكنا نهار!

سقط الورد من يدي

لا عبير، ولا خدرُ

لا تنامي.. حبيبتي

العصافير تنتحرُ

ورموشي سنابلٌ

تشرب الليلَ والقدْرُ

صوتك الحلوُ قبله

وجناحٌ على وترٍ

عُصْنُ زيتونةٍ بكى

في المنافي على حجرٍ

باحثاً عن أصوله

وعن الشمس والمطرُ

لا تنامي .. حبيبتي

العصافير تنتحر

عندما يسقط القمر

كالمرايا المحطمه

يشرب الظل عارنا

ونداري فرارنا

يصبح الحب ملحمة

لا تنامي .. حبيبتي

جرحنا صار أوسمه

ويدانا على الدجى

عندليبٌ على وترٍ

كبر الأسير

تتموّج الذكرى، وبياراتُ أهلي

خلف نافذة القطارُ

وتغوص، تحت الرمل والبارود، دارُ

كل النوافذ أشرعت في ذات يوم

للعيون السود، واحترق النهار

ولعاً بساحتك الصغيره

وأنا كبرتُ.. كبرتُ ..

حطمتُ المرايا كلها،

ونفضتُ أجنحة الغبارُ

عن جنة نبتت بصورة

ورأيت وجهك في السنايل

وهي تبحر في سماء الضوء

في فرح الضفيره

يا حبي الباقي على لحمي هلالاً في إطار !

أترى إلى كل الجبال، وكل بيارات أهلي

كيف صارت كلها.. صارت أسيره؟

وأنا كبرت، كبرتُ يا حبي القديم مع الجدار

كبر الأسير، وأنت توقدُ

في ليالي التيه أغنية ونار

وتموت، وحدك، دون دار

ريتا والبندقية

بين ريتا و عيوني.. بندقية

والذي يعرف ريتا ، ينحني

ويصلي

لإله في العيون العسلية !

..وأنا قُلت ريتا

عندما كانت صغيره

وأنا أذكر كيف التصفتُ

بي، و غطت ساعدي أحلى صغيره

وأنا أذكر ريتا

مثلاً يذكر عصفورٌ غديره

آه .. ريتا

بيننا مليون عصفور وصوره

ومواعيد كثيره

أطلقت ناراً عليها.. بندقية

إسمُ ريتا كان عيداً في فمي

جسم ريتا كان عرساً في دمي

وأنا ضعت بريتا .. سنتين .

وهي نامت فوق زندي سنتين

وتعاهدنا على أجمل كأس ، واحترقنا

في نبيذ الشفتين

وولدنا مرتين !

آه .. ريتا

أي شيء ردّ عن عينيك عينيّ

سوى إغفائتين

وغيوم عسلية

قبل هذي البندقية !

كان يا ما كان

يا صمت العشيّة

قمرى هاجر فى الصبح بعيداً

فى العيون العسلية

والمدينة

كنست كل المغنين ، وريتا

بين ريتا وعيونى . بندقية

جندى يحلم بالزنابق البيضاء

يحلم بالزنابق البيضاء

بغصن زيتون ..

بصدرها المورق في المساء

يحلم_ قال لي _بطائر

بزهر ليمون

و لم يفلسف حلمه ل،م يفهم الأشياء

إلا كما يحسها .. يشمها

يفهم_ قال لي_ إن الوطن

أن أحتسي قهوة أُمي

أن أعود في المساء ..

سألته: و الأرض؟

قال: لا أعرفها

و لا أحس أنها جلدي و نبضي

مثلما يقال في القصائد

و فجأة، رأيتها

كما أرى الحانوت..و الشارع.. و الجرائد

سألته: تحبها

أجاب: حبي نزهة قصيرة

أو كأس خمر.. أو مغامرة

_من أجلها تموت ؟

_كلا !

و كل ما يربطني بالأرض من أواصر

مقالة نارية.. محاضرة !

قد علموني أن أحب حبّها

و لم أحس أن قلبها قلبي،

و لم أشم العشب، و الجذور، و الغصون ..

_و كيف كان حبّها

يلسع كالشموس .. كالحنين؟

أجابني مواجها :

_و سيلتي للحب بندقية

و عودة الأعياد من خرائب قديمة

و صمت تمثال قديم

ضائع الزمان و الهوية !

حدّثني عن لحظة الوداع

و كيف أمّة

تبكي بصمت عندما ساقوه

إلى مكان ما من الجبهة ..

و كان صوت أمه الملتاع

يحفر تحت جلده أمنية جديدة :

لو يكبر الحمام في وزارة الدفاع

لو يكبر الحمام !..

..دخّن، ثم قال لي

كأنه يهرب من مستنقع الدماء :

حلمت بالزنايق البيضاء

بغصن زيتون ..

بطائر يعانق الصباح

فوق غصن ليمون ..

_وما رأيت؟

_رأيت ما صنعت

عوسجة حمراء

فجرتها في الرمل.. في الصدور.. في البطون ..

_و كم قتلت ؟

_يصعب أن أعدهم ..

لكنني نلت وساما واحدا

سألته، معذبا نفسي، إذن

صف لي قتيلا واحدا .

أصلح من جلسته ،وداعب الجريدة المطوية

و قال لي كأنه يسمعي أغنية :

كخيمة هوى على الحصى

و عانق الكوكب المحطمة

كان على جبينه الواسع تاج من دم

وصدره بدون أوسمة

لأنه لم يحسن القتال
يبدو أنه مزارع أو عامل أو بائع جوال
كخيمة هوى على الحصى .. و مات ..

كانت ذراعاها

ممدودتين مثل جدولين يابسين

و عندما فتشت في جيوبه

عن اسمه، وجدت صورتين

واحد .. لزوجته

واحد .. لطفله ..

سألته: حزنت؟

أجابني مقاطعا يا صاحبي محمود

الحزن طير أبيض

لا يقرب الميدان. و الجنود

يرتكبون الإثم حين يحزنزن

كنت هناك آلة تنفث نارا وردى

و تجعل الفضاء طيرا أسودا

حدثني عن حبه الأول،

فيما بعد

عن شوارع بعيدة،

و عن ردود الفعل بعد الحرب

عن بطولة المذيع و الجريدة

و عندما خبأ في منديله سعلته

سألته: أنلتقي

أجاب: في مدينة بعيدة

حين ملأت كأسه الرابع

قلت مازحاً.. ترحل و.. الوطن ؟

أجاب: دعني ..

إنني أحلم بالزنايق البيضاء

بشارع مغرّد و منزل مضاء

أريد قلباً طيباً، لا خشو بندقية

أريد يوماً مشمساً، لا لحظة انتصار

مجنونة.. فاشية

أريد طفلاً باسماء يضحك للنهار،

لا قطعة في الآله الحربية

جئت لأحيا مطلع الشمس

لا مغربها

ودعني، لأنه.. يبحث عن زنايق بيضاء

عن طائر يستقبل الصباح

فوق غصن زيتون

لأنه لا يفهم الأشياء

إلا كما يحسّها.. يشمّها

يفهم.. قال لي.. إن الوطن

أن أحتسي قهوة أمي ..
أن أعود، آمنًا مع، المساء

Akhawia.net

أغنية ساذجة عن الطيب الأحمر

هل لكل الناس، في كل مكان

أذرع تطلع خبزا و أمانى

و نشيدا وطنيا؟

فلماذا يا أبى نأكل غصن السنديان

و نغني، خلصة، شعرا شجيا؟

يا أبى! نحن بخير و أمان

بين أحضان الصليب الأحمر !

عندما تفرغ أكياس الطحين

يصبح البدر رغيفا في عيوني

فلماذا يا أبى، بعت زغاريدي وديني

بفتات و بجن أصفر

في حوانيت الصليب الأحمر؟

با أبى! هل غاية الزيتون تحمينا إذا جاء المطر؟

و هل الأشجار تغنينا عن النار، و هل ضوء القمر

سيذيب الثلج، أو يحرق أشباح الليالي

إنني أسأل مليون سؤال

و بعينيك أرى صمت الحجر

فأجبنى، يا أبى أنت أبى

أم تراني صرت إبنا للصليب لبأحمر؟ !

يا أبى هل تنبت الأزهار في ظل الصليب ؟

هل يغني عندليب

فلماذا نسفوا بيتي الصغير

و لماذا، يا أبي، تحلم بالشمس إذا جاء المغيب؟

و تناديني، تناديني كثيرا

و أنا أحلم بالحلوى و حبات الزبيب

في دكاكين الصليب الأحمر

حرموني من أراجيح النهار

عجنوا بالوحد خبزي ورموشي بالغبار

أخذوا مني حصاني الخشبي

جعلوني أحمل الأثقال عن ظهر أبي

جعلوني أحمل الليلة عام

آه من فجرني في لحظة جدول نار ؟

آه، من يسلبني طبع الحمام

تحت أعلام الصليب الأحمر

ملاحظة على الأغنية

أخذوا منك الحصان الخشبي

أخذوا، لا بأس ظل الكوكب

يا صبي !

يا زهرة البركان، يا نبض يدي

إنني أبصر في عينيك ميلاد الغد

وجوادا غاص في لحم أبي

نحن أدري بالشياطين التي تجعل من طفل نبيا

قل مع القائل:.. لم أسألك عبنا هينا

يا إلهي! أعطني ظهرا قويا!..

أخذوا بابا.. ليعطوك رياح

فتحوا جرحا ليعطوك صباح

هدموا بيتا لكي تبني وطن

حسن هذا.. حسن

نحن أدري بالشياطين التي تجعل من طفل نبيا

قل مع القائل ل:..م أسألك عبنا هينا

يا إلهي! أعطني ظهرا قويا!..

أزهار الدم

١ - مغنى الدم

لمغنيك، على الزيتون، خمسون وتر
و مغنيك أسير كان للريح، و عبدا للمطر
و مغنيك الذي تاب عن نوم تسلى بالسهر
سيسمي طلعة الورد، كما شئت، شرر
سيسمي غابة الزيتون في، ميلاد سحر
و سيبيكي، هكذا اعتاد
إذا مرّ نسيم فوق خمسين وتر
آه يا خمسين لحنا دمويا
كيف صارت لركة الدم نجوما و شجر؟
الذي مات هو القاتل يا فيثارتني
و مغنيك انتصر !
إفتحي الأبواب يا قريتنا
إفتحيها للرياح الأربع
ودعي خمسين جرحا يتوهج
كفر قاسم ..
قرية تحلم بالقمح، و أزهار البنفسج
و بأعراس الحمام
.....
_أحصدوهم دفعة واحدة

أحصدوهم

.....

.....حصدوهم ...

.....

آه يا سنبله القمح على صدر الحقول

و مغنيك يقول :

ليتني أعرف سر الشجرة

ليتني أدفن كل الكلمات الميتة

ليت لي قوة صمت المقبرة

يا يدا تعزف، يا للعار! خمسين وتر

ليتني أكتب بالمنجل تاريخي

و بالفأس حياتي،

وجناح القبره

.....

كفر قاسم

إنني عدت من الموت لأحيا، لأعني

فدعيني أستعر صوتي من جرح توهج

و أعينيني على الحقد الذي يزرع في قلبي عوسج

إنني مندوب جرح لا يساوم

علمتني ضربة الجلاذ أن أمشي على جرحي

و أمشي ..

ثم أمشي ..
و أقاوم!

Akhawia.net

٢- حوار فى تشرين

أحاور ورقة توت :

و من سوء حظ العواصف أن المطر

يعيدك حيّه ،

و أن ضحيّتها لا تموت

و أن الأيدي القويّة

تكبلها بالوتر !

سأدفع مهر العواصف

مزيّدا من الحب للوردة الناكله

و أبقى على قمة التل واقف

لأفصح سر الزوابع.. للقافلة

أحاور هبة ربح :

إذا هاجر الزراع الأول

وعاث بحنطة القاتل

و إن قتلوه كما قتلوني

فلن تحملي الأرض يوما

و لن تنزعي جلدّها عن جفوني

سأدفع مهر العواصف

مزيّدا من الحب للوردة الناكله

و أبقى على قمة التل واقف

لأفصح سر العواصف.. للقافلة !

أحاور روح الضحيّة :

و من سوء حظ العواصف أن المطر

يعيدك حيّة ..

و من حسن حظك أنك أنت الضحيّة

هلا.. يا هلا.. بالمطر!

Akhalia.net

٣- الموت مجاناً

كان الخريف يمرّ في لحمي جنازة يرتقال ..
قمرا نحاسيا تفتتته الحجارة و الرمال
و تساقط الأطفال في قلبي على مهج الرجال
كل الوجوم نصيب عيني .. كل شيء لا يقال ..
و من الدم المسفوك أذرة تتاديني: تعال !
فلترفعي جبدا إلى شمس تحنّت بالدماء
لا تدفني موتاك! .. خليه كأعمدة الضياء
خلي دمي المسفوك .. لافته الطغاة إلى المساء
خليه ندا للجبال الخضر في صدر الفضاء !
لا تسألني الشعراء أن يرثوا زغاليل الخميّة
شرف الطفولة أنها
خطر على أمن القبيلة
إني أباركهم بمجد يرضع الدم و الرذيلة
و أهنيء الجلال منتصرا على عين كحيلة
كي يستعير كساءه الشتوي من شعر الجديدة
مرحى لفاتح قرية! .. مرحى لسفاح الطفولة ..!
يا كفر قاسم! .. إن أنصاب القبور يد تشدّ
و تشد للأعماق أغراسي و أغراس اليتامى إذ تمد
باقون.. يا يدك النبيلة، علمينا كيف نشدو
باقون مثل الضوء، و الكلمات، لا يلويهما ألم و قيد

يا كفر قاس !

إن أنصاب القبور يد تشد!..

Akhawia.net

٤ - القتل رقم ١٨

غابة الزيتون كانت مرة خضراء

كانت .. و السماء

غابة زرقاء .. كانت حبيبي

ما الذي غيرّها هذا المساء؟

.....

أوقفوا سيارة العمال في منعطف الدرب

و كانوا هادئين

و أدارونا إلى الشرق .. و كانوا هادئين

.....

كان قلبي مرة عصفور زرقاء .. يا عش حبيبي

و مناديلك عندي، كلها بيضاء، كانت حبيبي

ما الذي لطّخها هذا المساء؟

أنا لا أفهم شيئاً يا حبيبي !

.....

أوقفوا سيارة العمال في منتصف الدرب

و كانوا هادئين

و أدارونا إلى الشرق .. و كانوا هادئين

.....

لك مني كلّ شيء

لك ظل لك ضوء
خاتم العرس، و ما شئت
و حاكورة زيتون و تين
و ساتيك كما في كل ليلة
أدخل الشباك، في الحلم، و أرمي لك فله
لا تلمني إن تأخرت قليلا
إنهم قد أوقفوني
غابة الزيتون كانت دائما حضراء
كانت يا حبيبي
إن خمسين ضحية
جعلتها في الغروب ..
بركة حمراء.. خمسين ضحية
يا حبيبي.. لا تلمني ..
قتلوني.. قتلوني ..
قتلوني..

٥- القتل رقم ٨

وجدوا في صدره قنديل ورد.. و قمر

وهو ملقى، ميتاً، فوق حجر

وجدوا في جيبه بعض قروش

وجدوا علبة كبريت، وتصريح سفر ..

و على ساعده الغض نقوش .

قبلته أمه ..

و بكت عاما عليه

بعد عام، نبت العوسج في عينيه

و اشتدّ الظلام

عندما شبّ أخوه

و مضى يبحث عن شغل بأسواق المدينة

حبسوه ..

لم يكن تصريح سفر

إنه يحمل في الشارع صندوق عفونه

و صناديق آخر

آه: أطفال بلادي

هكذا مات القمر!

٦- عيون الموتى على الأبواب

مروا على صحراء قلبي ، حاملين ذراع نخلة
مروا على زهر القرنفل، تاركين أزير نخلة
و على شبابيك القرى رسموا، بأعينهم أهله

و تبادلوا بعض الكلام

عن المحبة و المذلة

ماذا حملت لعشر شمعات أضاءت كفر قاسم

غير المزيد، من التشديد، عن الحمام ..

و الجماجم..؟

هي لا تريد.. و لا تعيد

رثاءنا.. هي لا تساوم

فوصية الدم تستغيث بأن تقاوم

في الليل دقوا كا باب ..

كل باب.. كل باب

وتوسلوا ألا نهيل على الدم الغالي التراب

قالت عيونهم التي انطفأت لتشعلنا عتاب :

لا تدفنونا بالنشيد، و خلدونا بالصمود

إنا نسمد لبراعم الضوء الجديد

يا كفر قاسم !

من توابيت الضحايا سوف يعلو

علم يقول: قفوا! قفوا !

و استوقفوا !

لا :لا تذلوا !

دين العواصف أنت قد سدّته ،

و انهار ظلّ

يا كفر قاسم! لن ننام.. و فيك مقبرة و ليل

ووصية الدم لا تساو

ووصية الدم تستغيث بأن نقاوم

أن نقاوم..

Akhaviana.net

السجين والقمر

في آخر الليل التقينا تحت قنطرة الجبال

منذ اعتقلت، و أنت أدرى بالسبب

الآن أغنية تدافع عن عبير البرتقال

و عن التحدي و الغضب

دفنوا قرنفة المغني في الرمال؟

علمان نحن، على تماثيل الغيوم الفستقية

بالحب محكومان، باللون المغني؟

كلّ الليالي السود تسقط في أغانينا ضحية

و الضوء يشرب ليل أحزائي و سحني

فتعال، ما زالت لقصتنا بقية !

سأحدث السّجان، حين يراك

عن حب قديم

قربما وصل الحديث بنا إلى ثمن الأغاني

هذا أنا في القيد أمتشق النجوم

و هو الذي يقتات، حرا من دخاني

و من السلاسل و الوجوم !

كانت هويتنا ملايينا من الأزهار،

كنا في الشوارع مهرجان

الريح منزلنا،

وصوت حبيبي قبل .

و كنت الموعدا
لكنهم جاؤوا من المدن القديمة
من أقاليم الدخان
كي يسحبوها من شراييني،
فعانقت المدى .

و الموت و الميلاد في وطني المؤله توأمان !
ستموت يوما حين تغنينا الرسوم عن الشجر
و تباع في الأسواق أجنحة البلابل
و أنا سأغرق في الزحام غدا، و أحلم بالمطر
و أحدث السمراء عن طعم السلاسل
و أقول موعدنا القمر!

يوم

منذ الظهيرة، كان وجه الأفق

مثل جبينك الوهمي، يغطس في الضباب

و الظلّ يجمد في الشوارع

مثل وقفنك الأخيرة عند بابي

و خطاك تعبر، في مكان ما، كهمس في اغترابي !

يا أيها اليوم المسافر في الرمال

أتكن لي بعض المودة؟ !

الظل يسند جبهتي

و الأفق يشرب من نبيذ الشمس

ما شربت يدي،

في ذات يوم،

من صفائر شعرك المشدود في جرح الغد

و الظل يشربني كما شربت عيونك

ضوء آخر موعد

يا أول الليل الذي اشتعلت يداه برتقال

أتكن لي بعض المودة؟؟

الباب يغلق مرة أخرى، ووجهك ليس يأتي

و أنا و أنت مسافران.. و لا جنان، أنا و أنت

ماذا تسر لك الكوكب؟.. إنها من دون بيت؟

لا تسمعها !

كان فحم الليل يرسمها على تمثال صمت

و أنا و أنت ، أنا و أنت

شفقتا حنين كان ملح الانتظار طعامنا

و صداك صوتي

و الباب يغلق مرة أخرى، ووجهك ليس يأتي

يا ليل، يا فرس الظلال ..

أتكن لي بعض المودة؟؟

لا تتركيني

وطني جبينك، فاسمعيني

لا تتركيني

خلف السياج

كعشبة برية ،

كيمامة مهجورة

لا تتركيني

قمرا تعيسا

كوكبا متسولا بين الغصون

لا تتركيني

حرا بحزني

و احبسيني

بيد تصبّ الشمس

فوق كوى سجوني ،

وتعودي أن تحرقيني،

إن كنت لي

شغفا بأحجاري بزيتوني

بشباكِي.. بطيني

وطني جبينك، فاسمعيني

لا تتركيني!

إلى ضائعة

إذا مرت على وجهي

أنامل شعرك المبتل بالرمل

سأنهي لعبتي.. أنهي

و أمضي نحو منزلنا القديم

على خطى أهلي

و أهتف يا حجارة بيتنا صلى !

إذا سقطت على عيني

سحابة دمة كانت تلف عيونك السوداء

سأحمل كل ما في الأرض من حزن

صليبا يكبر الشهداء

عليه و تصغر الدنيا

و يسقي دمع عينيك

رمال قصائد الأطفال و الشعراء !

إذا دقت على بابي

يد الذكرى

سأحلم ليلة أخرى

بشاعرنا القديم و عودة الأسرى

و أشرب مرة أخرى

بقايا ظلك الممتد في بدني

و أومن أن شباكا

ضغيرا كان في وطني

يناديني و يعرفني

و يحميني من الأمطار و الزمن

Akhawia.net

أغنيات إلى الوطن

1. جبينٌ وغضبٌ

وطني! يا أيها النسرُ الذي يغمد منقار اللهبُ

في عيوني،

أينَ تاريخُ العرب؟

كلُّ ما أملكهُ في حضرةِ الممت:

جبينٌ وغضبٌ.

وأنا أوصيتُ أن يزرع قلبي شجرة

وجبيني منزلاً للقبرة.

وطني، إنا ولدنا وكبرنا بجراحك

وأكلنا شجرَ البلوط..

كي نشهدَ ميلادَ صباحك

أيها النسرُ الذي يرسفُ في الأغلايمن دون سبب

أيها الموتُ الخرافيُّ الذي كانَ يُحب

لم يزلْ منقاركَ الأحمرُ في عينيَّ

سيفاً من لهب..

وأنا لستُ جديراً بجناحك

كلُّ ما أملكهُ في حضرةِ الموت:

جبينٌ وغضب!

2. وَطَنٌ

علّقوني على جدائل نخلة
واشئفوني.. فلن أخون النّخلة!
هذه الأرضُ لي.. وكنتُ قديماً
أحلبُ التّوقَ راضياً ومولّهُ
وطني ليسَ حزيمةً من الحكايا
ليسَ ذكرى، وليسَ حقلُ أهلة
وطني ليسَ قصّةً أو نشيداً
ليسَ ضوءاً على سوائفِ فُلّه
وطني غُضْبُهُ الغريبِ على الحزن
وطفلٌ يريدُ عيداً وقُبْلَهُ
ورياحُ ضاقتُ بحجرة سجن
وعجوزٌ يبكي بَنِيهِ.. وحقلُهُ
هذه الأرضُ جلدُ عظمي
وقلبي..
فوق أعشابها يطير كنحله
علّقوني على جدائل نخلة
واشئفوني فلن أخون النّخلة!

٣. لا مَقَرُّ

مطرٌ على أشجاره ويدي على
أحجاره، والملح فوق شفاهي
من لي بشبّاك يقي جمرَ الهوى
من نسمةٍ فوق الرّصيفِ اللاهي؟
وطني! عُيُونُكَ أَمْ غَيُومٌ دَوَّبَتْ
أوتارَ قلبي في جراحِ إلهٍ
هل تأخذُنَّ يدي؟ فسبحانَ الذي
يحمي غريباً من مذلةِ أه
ظِلُّ الغريبِ على الغريبِ عباءةٌ
تحميه من لسعِ الأسيّ التّيّاه
هل تُلقِينَِّ على عراءِ تسولي
أستارِ قبرِ صارَ بعضَ ملاهي
لا شَمَّ رائحةِ الذين تنقَّسوا
مهدي.. وعطرُ البرتقالِ الساهي
وطني! أفتشُ عنكَ فيكَ فلا أرى
لا شقوقِ يديكَ فوقِ جباه
وطني أفتتحُ في الخرائبِ كوة؟
فالمُحُ ذابَ على يدي وشفاهي
مطرٌ على الإسفلتِ، يجرفني إلى
ميناءِ موتانا.. وجُرحُكَ نَاه

٤. رَدُّ الْفِعْلِ

وطني! يعلمني حديدُ سلاسلِي
عنْفَ النُّسُورِ وَ رِقَّةَ الْمُتَفَائِلِ

ما كنتُ أعرفُ أنَّ تحتَ جلودنا
ميلادُ عاصفةٍ... وعرسُ جداول

سدّوا عليّ النُّورَ في زِنزانةٍ
فتوهّجتُ في القلبِ شمسٌ مشاعِل

كتبوا على الجدرانِ رِقَمَ بطاقتي
فنما على الجدرانِ مرجُ سنابل

رسموا على الجدرانِ صورةَ قاتلي
فمحتُ ملامحها ظلالُ جدائل

وحفرتُ بالأسنانِ رسمك دامياً
وكتبتُ أغنيةَ العذابِ الراحل

أغمدتُ في لحم الظلامِ هزيمتي
وغرزتُ في شعرِ الشُّمُوسِ أناملِي

والفاتحونَ على سطوحِ منازلِي
لم يفتحوا إلا وعودَ زلازلي!

لن يبصروا إلا توهّجَ جبّهتي
لن يسمعوا إلا صريرَ سلاسلِي

فإذا احترقتُ على صليبِ عبادتي
أصبحتُ قديساً بزيِّ مقاتل

٥. الموعِدُ

لم تزلْ شُرْفَةٌ.. هناك
في بلادِي، ملوحة
ويَدُ تمنحُ الملاك
أغنيَاتٍ، وأجْنَحَهُ
العصافيرُ أمْ صدّاك
أمْ مواعيدُ مُفرحة
فَقُلْتَنِي.. لَكِي أراك؟!

*

وطني! حُبنا هلاك
والأغاني مُجرحة
كلما جاءني نِدَاكُ
هجرَ القلبُ مطرحة
وتلاقي على رُبّاك
بالجروح المفتحة
لا تُلمني ففي ثراك
أصبحَ الحُبُّ.. مَدْبَحَةً!

٦. أَحْبُّكَ أَكْثَرَ

تَكْبَرُ.. تَكْبَرُ!

فمهما يكن من جفاك

ستبقى، بعيني ولحمي، ملاك

وتبقى، كما شاء لي حيناً أن أراك

نسميك عنبر

وأرضك سكر

وإني أحبك.. أكثر

يداك خمائل

ولاكنني لا أغني

كل البلايل

فإن السلاسل

تعلمني أن أقاتل

أقاتل.. أقاتل

لأنني أحبك أكثر!

غنائي خناجر ورد

وصمتي طفولة رعد

وزنبقة من دماء

فؤادي،

وأنت الثرى والسماء

وقلبك أخضر..!

وَجَزِرُ الْهَوَى، فَيْكَ، مَدَّ
فَكَيْفَ، إِذْنُ، لَا أَحْبَبَكَ أَكْثَرُ
وَأَنْتَ، كَمَا شَاءَ لِي حُبُّنَا أَنْ أَرَاكَ:
تُسَمِّيكَ عَنبر
وَأَرْضُكَ سَكَّرَ
وَقَلْبُكَ أَخْضَرَ...!
وَأَيُّ طِفْلٍ هَوَاكَ
عَلَى حُضْنِكَ الْحُلُو
أَنْمُو وَأَكْبُرْ!

Akhawia.net

الأغنية والسلطان

لم تكن أكثر من وصف.. لميلاد المطر

و مناديل من البزق الذي يشعل أسرار الشجر

فلماذا قاموها؟

حين قالت إن شينا غير هذا الماء

يجري في النهر؟

و حصى الوادي تماثيل، و أشياء آخر

و لماذا عذبوها

حين قالت إن في الغابة أسراراً

و سكينا على صدر القمر

ودم البلبل مهدور على ذاك الحجر؟

و لماذا حبسوها

حين قالت: وطني حبل عرق

و على قنطرة الميدان إنسان يموت

و ظلام يحترق؟

غضب السلطان

و السلطان مخلوق خيالي

قال: إن العيب في المرأة،

فليخلد إلى الصمت مغنيكم، و عرشي

سوف يمتد

من النيل إلى نهر الفرات !

أسجنوا هذي القصيدة

غرفة التوقيف

خير من نشيد.. و جريدة

أخبروا السلطان،

أن الريح لا تجرحها ضربة سيف

و غيوم الصيف لا تسقي

على جدرانه أعشاب صيف

و ملايين من الأشجار

تخضر على راحة حرف !

غضب السلطان، و السلطان في كل الصور

و على ظهر بطاقات البريد

كالمزامير نقيّ و على جبهته وشم العبيد ،

ثم نادى.. و أمر :

أقتلوا هذي القصيدة

ساحة الإعدام ديوان الأناشيد العنيدة !

أخبروا السلطان،

أن البرق لا يحبس في عود ذره

للأغاني منطق الشمس ،و تاريخ الجداول

و لها طبع الزلازل
و الأغاني كجذور الشجرة
فإذا ماتت بأرض،
أزهت في كل أرض
كانت الأغنية الزرقاء فكره
حاول السلطان أن يطمسها
فغدت ميلاد جمره !
كانت الأغنية الحمراء جمره
حاول السلطان أن يحبسها
فإذا بالنار ثوره !
كان صوت الدم مغموسا بلون العاصفة
و حصى الميدان أفواه جروح راعفه
و أنا أضحك مفتونا بميلاد الرياح
عندما قاومني السلطان
أمسكت بمفتاح الصباح
و تلمست طريقي بقناديل الجراح
آه كم كنت مصيبا
عندما كرس قلبى
لنداء العاصفة
فلتهبّ العاصفة !

و لتهبّ العاصفة!

Akhawia.net